أيام الثقافة

يصدر كل يوم ثلاثاء

الثلاثاء ٢٠٠٨/١/٨م الموافق ٣٠ ذو الحجة ١٤٢٨هـ العدد ٤٣٠٠ السنة الثالثة عشرة AL-AYYAM Tuesday 8/1/2008 Issue No. 4300 Volume 13 الأيام

لا خيل على الطرقات ولا مخدة في الهواء

محمود ابو الهيجا

خرج الظل على طينه
انكسر الطينُ
ثلاثُ باكياتٍ من الكلام المر يجلسن الليلة على صدره
أمهُ وقد تجمعت ثانيةً في طيف من خبب
كليمتهُ نجمة الصبح و خطيئته الساحرة
ثلاثُ طعناتٍ غائرة
والدمع قتلٌ وحنين

لا تصدق ما قاله السفر واسكب ما تيسر من ماء الفرد
على لغة النواميس، ذوب حيلتها، الحرب ليست أنثى، السكوت
ليس من ذهب
الوطنُ طرقٌ وطنينٌ
ما من مدىً في هذا المدى
حجرٌ تاه في السدى
والفتى طيفٌ وكمين

قلنا قالت «عناةُ» وبعل يزرع في اسرة الرعاة وردتها
قلنا بانت «سعاد» وبان الشرق غيمة في ضحكتها
قلنا قال الرواة والنص سجنٌ وسجين

خرج الظل على طينه
انكسر الطينُ

ما من خيلٍ على هذه الطرقات
حفريات من الندم
غبار من صيحة الخليفة
الكوفة ثانية يا علي
الكوفة بالرجز على دبابات الغزاة
وما من برد هذه المرة ولا صيف ..!!
الكوفة وما من رمح ولا سيف
والفرات يقال ويحكى
سرداب الغيبة يخرج كأنه حائط مبكى
بردى ذكريات لقاسيون ينسى

والنيل لحسرة المتنبي
نامت نواطيرها والثعالب نصٌ هجين

الكوفة يا على
ابن عباس من جهة
والمختار الثقفي

لا تصدق ما قاله اليقينُ
واخرج حتى على الحب مثلما خرج الظل على طينك
اكسر زينة العرش
طينك جرحك
الموت متنٌ والحياة هامشٌ مكين

عـــدنـــا
نعود ثانيةً أدراجنا

كيف نعود ..؟؟
من أين وإلى أين وحتى أين ..؟؟
اختلط الأمر على حاله
تشابكت الصلوات على النبي
وباسم القدير العلي

اسمك هناك يقتلك
وأخوك هنا قاتل امينٌ ...!!

لم يكن للرمل غير الرمل
لم يكن له يوماً طعم الحل
لكنهم ألبسوه وزينوه وعلموه اغنية ان الرمل هو الكل

نثروه بين الكلمات،
ثقفوه كحوار
علقوه كشاشا ت في المقاهي
كمزهريات في البيوت
ثم اعطوه مسك الختام
قبل الصلاة وبعد السكوت

والرمل هو الرمل
صحراء اذا ما زاد وغيب اذا ما قل

ثلاث باكيات وقلبي رابع حزنٌ
صدقت فتكسرت
كذبت فتكسرت ايضا
اقتربت فابتعدت
وفي البعيد رأيت القرب كأنه مني فتبعثرت
روحي بين يديه
وجسدي بين يدي شغبٌ وأنينٌ

لن تكون غير ما كانوا
حفاة على السياج
عشاقاً في الحضرة والعشق طيفٌ في ليله رهينٌ
لكن ما من دراهم للقدرة
ما من مريدين ولا مخدة في الهواء
والبكاء لم يعد هو البكاء
اجمل الحروب التي تموت سريعاً
غير اني لا أعرف الطريق
والخطو غائبٌ ظنينٌ

خرج الظل على طينه
انكسر الطين

اللوحة للفنان تيسير بركات.

ملاحظات أولى

صبا الحَـرّ: الآخـــرون

عادل الأسطة

لا أدري مدى إلمام قراء الأرض المحتلة بالأدب السعودي المعاصر، ربما عرفنا أحمد ابو دهمان من خلال روايته الحزام (٢٠٠٠ بالفرنسية)، ٢٠٠١ بالعربية عن دار الساقي، لأنها نشرت في كتاب في جريدة في شباط من العام ٢٠٠٦، ولم تجد، من النقاد، صدى، اذ لم يأت عليها، في حدود ما قرأت، سوى الشاعر علي الخليلي في مقالة عابرة نشرها في «الأيام». وسيكون حظ رجاء الصانع أفضل، اذ أعيد نشر روايتها «بنات الرياض» (٢٠٠٦) التي خصصتها أنا بمقالة طويلة، نشرتها في «الأيام» أيضاً، ودرستها مرتين في مساق المدخل الى تذوق النص الأدبي في قسم اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، وسيكون حظ زينب حفني مثل حظ الصانع، فقد أعيدت طباعة روايتها «ملامح» (٢٠٠٦) في فلسطين، وأنجزت أيضاً مراجعة لها.

طبعاً يجب ألا ننسى ان أسماء نقدية، مثل عبد الله الغذامي وسعد البازعي وميجان الرويلي، تبدو معروفة للدارسين والباحثين والنقاد، من خلال كتاب الأول: «الخطيئة والتكفير» وكتاب الثاني والثالث: «دليل الناقد الأدبي». وربما اطلعنا على أسماء نقدية من خلال وصول أعداد من مجلتي «علامات» و«جذور» إلى الأرض المحتلة، وإن كان وصولهما متقطعاً وغير منتظم.

في أيار من العام المنصرم ٢٠٠٧ كنت أتصفح عناوين كتب وروايات لصاحب كشك في عمان/ الأردن، وتعرف إليّ صاحبه ونصحني بان أقرأ رواية الروائية السعودية صبا الحرز: «الآخرون» (٢٠٠٦) التي صدرت أيضاً، مثل روايتي الصانع وحفني، في لندن عن دار الساقي. لم آخذ بنصيحة صاحب الكشك، ولم أقتن الرواية، وهكذا لم أقرأها، لأشعر بعد ذلك بالندم، فقد راودتني فكرة أن أدرس الرواية السعودية في مساق «موضوع خاص في الأدب الحديث»، غير أنني تراجعت لأسباب أهمها عدم توفر نصوص روائية سعودية كافية، وعدم اطلاعي، شخصياً، بما فيه الكفاية على الرواية السعودية.

في ٢٠٠٧/١٢/٣٠ زرت رام الله، وزرت مكتبة الشروق ورأيت نسخاً من رواية «الآخرون»، فاقتنيتها، وأنفقت اليومين الأخيرين من العام المنصرم، واليوم الاول من العام الجديد، في قراءة الرواية، وقد قررت ألا ادرسها، لأنها، ورواية زينب حفني: «ملامح»، من النصوص التي قد تسبب اشكالاً في بيئة محافظة، مثل نابلس، وفي زمن يقوى فيه علي كثيرون، لأنهم لا يقوون على الاحتلال الاسرائيلي، وعلى التخلص منه وتحرير الأرض، وهذا ما يستطيعون القيام به معي، اذ قد يطردونني من الجنة، فأكون آدم الثاني، ثم ان الطالبات في قسم اللغة العربية خلوقات ومهذبات وقد لا يستطعن قراءة رواية جريئة الى حد بعيد، لأنها تخوض في المحرمات. وسأظل أتذكر أنني حاولت في العام ١٩٨٣ ان ادرس رواية الطيب صالح «موسم الهجرة الى الشمال» لطلبة السنة الأولى، ففوجئت بثورة، اذ قال احد أولياء احدى الطالبات انني لا ادرس الطلاب الادب في كلية الاداب، بل ادرسهم قلة الادب.

رواية صبا الحرز «الآخرون» رواية جريئة وممتعة، ويخوض كثيرون منا، فيما تخوض فيه ساردتها، ولكن في السر، لا في العلن. والرواية سردت بضمير الأنا – اي عبر اسلوب الترجمة الذاتية، ومع ذلك لا استطيع ان اقول انها رواية سيرية، لأنني شخصياً لا أعرف شيئاً عن كاتبتها، وبالتالي فإن المقاربة التي تقوم على اساس الربط بين الكاتب وبطله تبدو من طرفي غير ممكنة.

ولأن الساردة شابة شيعية لا تتجاوز الثانية والعشرين من العمر، فقد يتساءل القارئ ان كانت ثقافتها تتناسب وسنها، ما يجعل القارئ يذهب الى التساؤل: ما مقدار ما كانت تنطق به الشخصية، ومقدار ما كانت الكاتبة تسقطه على ساردتها/ بطلتها؟ هل كل ما نطقت به الساردة صدر عنها ام انه كان يصدر ايضاً عن المؤلفة نفسها، بخاصة في الجانب اللغوي والثقافي والفلسفي أحياناً؟ هل هناك شابات في سن الثانية والعشرين قادرات على النطق بما نطقت به الساردة؟

لعل ما يجعل القارئ يطمئن إلى أنه كلام البطلة، لا كلام المؤلفة، أن البطلة طالبة جامعية ولها محاولات كتابية، بل إنها تسهم في إصدار مجلة. وبالتالي فلا يستغرب ان تكون قرأت لـ (جان بول سارتر) و (ميلان كوندير) و (باتريك سوسكيند) وغيرهم من الكتاب الذين غدوا معروفين جيداً للقراء العرب، ذلك أنهم ترجموا إلى العربية وانتشرت كتبهم في العواصم والهوامش. ولعل التناص في هذه الرواية، وفي رواية رجاء الصانع، يستحق أن يخاض فيه، لا في مقال سريع وعابر، بل في كتابة أطروحة جامعية، ولا شك أنها ستنجز في الأعوام القادمة.

وربما تساءل القارئ، ابتداء، من هم الآخرون، ولماذا اختار الناشر ان يجعل لون المفردة الأحمر، واسم المؤلفة باللون الأسود؟ وسيتذكر المرء عبارة سارتر الشهيرة: «الآخرون هم الجحيم»، وما إن يتصفح القارئ الرواية حتى يقرأ العبارة التي تعرفها المؤلفة وتصدر بها روايتها، وربما تساءل المرء: لم لم يكن اللون الأسود، حتى يتطابق الدال مع المدلول في عبارة سارتر، وسيعيد المرء نفسه السؤال ثانية بعد أن ينتهي من قراءة الرواية، فالآخرون للساردة/ البطلة كانوا فعلاً جميعاً. وهذا يؤكد مقولة سارتر، ويجعل من تصدير الرواية بها تصديراً موفقاً، وتبني الكاتبة له ليس عبثاً.

ان الآخرين فعلوا بالساردة ما جعلوا منها كائناً مسخاً مشوهاً لا يحيا حياة طبيعية، كائناً جنسياً شاذاً، يمارس حياة لا يرضاها، ويختار في نهاية الرواية الطبيعي ويرضى عنه، ويقرف من الشذوذ وغير الطبيعي الذي لم يكن له يد فيه. تنتهي الرواية بالمقطعين ٢٤ و ٢٥، وتكون العلاقة في الرابع والعشرين شاذة، خلافاً لها في الخامس والعشرين حيث تكون طبيعية. تقرف الساردة/ البطلة من العلاقة المثلية، علاقة أنثى مع أنثى، وترتاح للعلاقة الطبيعية، على الرغم من عدم شرعيتها، لأنها علاقة أنثى مع ذكر.

وحين يقرأ المرء الصفحات الأولى الكثيرة من الرواية يتساءل: لماذا «الآخرون» وليس «الأخريات»، بخاصة أن العلاقة يغلب عليها الطابع المثلي؟ وسيكتشف القارئ، ان الساردة لا تقصر علاقتها مع أخريات، اذ تكون لها علاقة مع ذكور، وكلمة «الآخرون» تشمل الأخريات والآخرين، وسيعرف القارئ، لماذا اختارت المؤلفة كلمة: «الآخرون».

«الآخرون هم الجحيم» قال (سارتر)، وقد كان أكثرهم للبطلة، كذلك، إلا عمر الذي ترضى عن علاقتها به، وتبادر اليها، وتعطيه نفسها. كأنه الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، وربما يبدو تحديد علاقة الأنا الساردة/ البطلة بالآخرين امراً مجدياً، لملاحظة العدد الكبير الذي كان جحيما لها، ولن أفعل ذلك هنا، فلربما ينجز هذا دارس آخر، ويتتبع علاقة الساردة بأمها وبأخيها حسن وبِ ضيّ وبمدرسة الرياضيات وبدارين، وبخالة الساردة فاطمة، وبالمجتمع ككل، بسنته وشيعته. الساردة الشيعية تحب سنيا، ولكنه يذكر على مسمعها ما يقوله السنة في الشيعة، وهكذا سيكون الطرف الأول آخر للطرف الثاني.

والملاحظ في هذه الرواية، وفي رواية رجاء الصانع ايضاً، ان الروائيتين تختاران بطلين مستواهما الثقافي متميز وذو توجه غربي. تحضر اللغة الانجليزية في الروايتين على لسان الشخصيات حضوراً لافتاً، ما يجعل الشخصيات تعاني من عقدة العربيزي، وان كانت رجاء الصانع حاولت ان تبرر هذا الاكثار من العبارات الانجليزية. وتحضر ايضاً الاشارات الى أفلام ومسلسلات انجليزية، ما يجعل من لا يتابعها من القراء يتساءل ان كان هذا يشكل عبئاً على القارئ، وعلى الرواية ايضاً.

وسيختلف المستوى اللغوي في الروايتين الى حد ما، فرواية الحرز تكاد تخلو من العامية السعودية التي حفلت بها رواية الصانع، لدرجة أنها كانت عبئاً آخر على القارئ، وإن المحت الكاتبة الى طريقة نطق بعض الحروف في اللهجة السعودية. لكن ما لا شك فيه ان الكاتبات السعوديات انجزن روايات جريئة ممتعة، لا أدري كيف استقبلها المجتمع السعودي.

ما هي صورة القدس في مخيلتك؟

مقدمة لـلمشروع الفني "القدس في المنفى"

ستيف سابيلا

شهدت القدس عدة احتلالات عبر تاريخها، ولكنها لم تشهد مثيلاً لما جرى في الثمانية وخمسين عاماً الماضية من حرمان لأهلها من الوصول إليها. ومع بناء جدار الفصل من حولها وداخلها، فقد أصبحت القدس نفسها مدينة ضائعة ومعزولة.

قبل سنوات، كتب فنان القدس الكبير كمال بُلاطة مقالة عن تجربتي الفنية أشار فيها إلى أنني ورغم معيشتي في القدس «فنان منفي»؛ وهي حقيقة كنت أعيشها وأسهو عنها. أما اليوم فإني أُدرك أن القدس كلها أصبحت مدينة «في المنفى».

للقدس معان خاصة لدى الفلسطينيين، وعند سؤال كل واحد منا، يقيناً سنعثر على أكثر من توصيف للمدينة؛ فللذين لا يستطيعون زيارتها، أو الذين ثُقيّد زيارتهم بإقامة سياحية تفرضها قيود الاحتلال، أو للذين حرموا من حق العودة إليها؛ لهؤلاء جميعاً، كما أعتقد، صور ما انفكت تسكن مخيلاتهم. وبمرور الوقت أصبحت هذه المخيلات أفكاراً معلقة ومشحونة بالانفعالات، وظلّت تكافح للخروج إلى الضوء والواقع، رغم حقيقة أن هذا الواقع مقيّد ومحتل.

ومن هنا، نود تحرير هذه المخيلات والأفكار، وتحويلها إلى صور بصرية؛ من أجل خلق صور فوتوغرافية من الوصف المقدم لتلك الصور «الذهنية» المختلفة للقدس، حسبما ستصل إليّ من فلسطينيين من كل العالم. إن توصيفاتهم لصورهم سوف تمنحني الفرصة لاكتشاف القدس ومعايشتها بطريقة جديدة. سوف تعمل المخيلة كبعد إضافي وغير مقيد، حيث ستكون الجناح الذي سيحمل تطلعات فلسطينيي العالم لكل زاوية من زوايا القدس لـ «تحريرها» بالمخيلة. ستكون تفاعل مخيلات، مخيلتي كفنان منفيّ داخل المكان ومخيلات منفيين خارج المكان؛ حيث لا تستطيع الجدران أن تمنع مخيلتنا الجمعية من الوصول للقدس متجاوزة الجدران والحواجز.

نأمل أن هذه المحاولة سوف تستثير الأفكار والمشاعر؛ ليتم تقديمها في النتيجة النهائية ككتاب فنّي تحت عنوان «القدس في المنفى ـ ذكريات مجسّدة» يتولى تحريره الشاعر نجوان درويش، الذي طالما جمعتني وإياه أسئلة الفن والهوية والحياة في منفانا المشترك في القدس. الكتاب الذي نأمل أن يتضمن شهادات ونصوصاً قيّمة عن القدس وعن موضوعتي الانتماء والوطن، من بينها كتابات لأسماء فلسطينية من فنانين ومفكّرين. (بالإضافة للمشاركات التي ستردنا من أصحابها عبر البريد الإلكتروني

participate@jerusalem-in-exile.net

والتي نسألهم فيها إرسال وصف أول صورة أو مشهد يتبادر إلى أذهانهم بمجرد ذكر اسم القدس). ونأمل في النهاية أن يؤدي هذا كله إلى تحريك وإخصاب صورة القدس في المخيلة الجمعية الفلسطينية.

إن هذه التجربة في تجلّي الكلمات إلى صور، والمخيلات إلى وقائع ملموسة، ستخلق في النهاية، فنّاً يحتفل بالولادة والولادة من جديد؛ فنّاً بإمكانه أن يحيا وأن يتجاوز الحدود.

هذه دعوة مفتوحة لكل «الممنوعين» عن القدس للمشاركة:
www.jerusalem-in-exile.net